

## الفكر الإسلامي يخالف الوحي والفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبْتُلِيَ الإسلام - بعد القرون المفضّلة - بإنشغال بعض (المفكرين) في صفوف علمائه بالفكر اليوناني عن تدبّر الوحي والفقه فيه، ظناً منهم - وبعض الظنّ إثم - أن الغاية تبرر الوسيلة وأن حُسن المنية يسوغ تحكيم الفكر في الدين، وتحكيم الظن في اليقين، وتحكيم الفلسفة الصّوفيّة الوثنية في معرفة الله.

وفي القرن الأخير شمّر (الإسلاميون) عن سواعدهم وعن أقلامهم وعن أسنتهم وعن أهوائهم وعن إهانات المحسنين لاستغلال ما سمّوه (الفكر الإسلامي) لصالح الحزبية أو التجارة أو السّعة، بحجة البحث عن بدائل لأنماط الحياة الغربيّة، ولما بدليل للضلال إلا الحق، ولما للظنّ إلا اليقين، ولما للفكر إلا الوحي، ولما للعادة إلا العبادة؛ فظهرت المطبوعات والمدارس والبنوك والمستشفيات ونوادي الرياضة البدنية والفنون الموصوفة كلّها زوراً (بالإسلامية)، وظهر الفكر والفلسفة والاشتراكية والديمقراطية الموصوفة كلّها زوراً (بالإسلامية)، وظهر فكر الإعجاز العلمي للقرآن ليصرف الشيطان وأهوائه به المسلمين عن تدبّر كتاب الله وسنة رسوله كما فقهدهم السلف الصالح - إلى محاولة بائسة لربط الوحي بالفكر وربط اليقين بالظن (وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا) [المكف: 104]. وتحولت المواضع الدينيّة إلى محاضرات مبنيّة على فنون الفكر والبلاغة والشعر والقصص والأمثال الدارجة والفكاهة، يجتمع عليها أكثر ممن يجتمع على المواضع الشرعيّة والآية والحديث والحكم الشرعي في الاعتقاد والعبادة والمعاملة، وصار أكثر المسلمين (مثقّقوهم وعوامهم)، لا أقول علماءؤهم) يرون البدعة هي السنة، حتى أعلن بعض قادة الفكر المنحرف أن: (تنزيه الوحي عن الفكر خطر عظيم على مستقبل الدين) وأن: (الله تعبدنا بالظن كما تعبدنا باليقين) وأن (سنة المتطور توجب إعادة النظر في كتابة التاريخ والسيرة بل في كتابة التفسير وفقه الأحكام الشرعية).

والفكر (الإسلامي) - بلا شك - قابل للتغيّر والتبدّل والتناقض والانحراف والخطأ؛ لاختلاف آراء المفكرين باختلاف أقدارهم و"كل ابن آدم خطاء"، ولتغيّر نظر المفكر نفسه بين أمسه ويومه وغده، ولكن الوحي الإلهي لا يتغيّر ولما يتبدّل ولما يتناقض ولما يخطئ لأن المخلوق العليم الخبير الحكيم أنزله بعلمه، وهو أعلم بخلقه في الماضي والحاضر والمستقبل، وهو أعلم بما يصلحهم وما يضرّهم؛ وليس عليهم في الدين إلا الإلتباع، أما المابتداع والاختراع في الدين فهو استدراك على الله وعلى رسوله، ومعصية حرّية ألّت غفر بدون التوبة قبل الموت؛ فهي مثل الشرك بالله ليس لها من دواعي الغرائز البشريّة ما تَعذّر به، وهي - مثله - من معاصي المشبهات التي هي أكبر من معاصي المشهوات قال الله تعالى: (إنّ الله لا يغيّر أن يشرك به ويغيّر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء: 48].

أ - ومن أحدث الأمثلة على التناقض بين الفكر (الإسلامي) وبين الوحي والفقه فيه بل وبين الفكر والفكر: إعلان علّفته على مفرق الطريق إحدى المجلات (الإسلامية) في بعض بلاد المسلمين وهو نسخة مكبّرة - على حساب الصدقة - لأحد أغلفتها أي بمقاطعة بضائع الكفار، مع أن المجلة بغلافها وإعلانها مرتبطة بهذه البضائع من كل وجه:

1- فكرة الإعلان ومواده وأدوات تنفيذه ونقله ونشره، كلّها من صنائع وبضائع من تأمر المجلة بمقاطعتهم.

2- المجلة (الإسلامية) نفسها نشأت وترعرعت في بلد ودولة تصفها المجلة بالكفر والعلمانية (إنكلترا) وفيها مقرّ المركز الذي يصدرها؛ فهي مديّنة لها بوجودها وأمنها واستقرارها واستمرارها.

3- وهذه المجلة تقوم على فكر (مفكر إسلامي) من بلاد الشام (هاجر) من أرض وصفها الله بالبركة والقداسة ومدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ولجأ) إلى أوروبا (بديانتها النصرانية وسياستها العلمانية) بحثاً عن الأمن والديمقراطية التي يأمل لفكره الانتشار في ظلّها - إضافة إلى رغد العيشة، مع أنه ينكر على الحثام المسفر إلى الغرب عند الحاجة لبيع منتجات بلادهم وشراء السلع وعقد الاتفاقات الدنيويّة لمصلحة الجميع، وما كانت (هجرته) من بلده الأصلي خلافاً على الدين بل على السّلطة، وإن تذرّع أمثاله بالاحتجاج على إسقاط فقرة من الدستور تدعي أن (الإسلام دين الدولة) وهم يعلمون أن الإسلام لم يكن دين الدولة منذ حُكم (الخراصة) العثمانية، فيما عدى تهيئة المساجد للصلاة وبعض أحكام الأحوال الشخصية وما زال الأمر في بلاد الشام على ما كان عليه.

ب - والمجلة - بهذا الإعلان - تخالف العقل والفكر - وإن وافقت الهوى والعاطفة - فهي تقوم - من الألف إلى الباء - على المصنّاع والبضائع والأفكار والمخترعات والمنتجات والثقافة الغربيّة: المراجع والمطابع والخدمات ووسائل الاتصالات والمواصلات، بل وثياب القائمين عليها وجميع وسائل حياتهم.

ج - والمجلة - بهذا الإعلان - تخالف شرع الله تعالى في كتابه وفي سنة رسوله ز؛ فقد قال الله تعالى في محكم كتابه: (لَا يَنْهَكَمُ

المَلَهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الْمَلَءَ أُولَئِكَ مُّسَدِّقُونَ \*  
 إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الممتحنة: 9-8].

والفرق واضح لمن يفقه بين التولي وبين التعامل بالمعروف. ولما يُقبل من المجلة - صاحبة الغلاف والإعلان - ولما من العاملين فيها  
 ولما من موجهيها أن يدعوا أن أوروبا أو أمريكا قاتلتهم في الدين ولما أنها أخرجتهم من ديارهم ولما أنها ظهرت على إخراجهم، وهم  
 يدعون أنهم فروا إليها بدينهم ويقررون - عملياً - أنها آوتهم ومنّت عليهم بالرزق والأمن، ومنّت على أكثرهم - ومنهم موجهوا  
 فكّرهم - بصفة اللجوء السياسي وجواز المسفر أو بالجنسية، وما أقرب ذلك من التولي المنهي عنه في آخر الآية الكريمة وفي آيات  
 كثيرة، فهدم بين شقّي رحي المعصية.

وقال الله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ أَنْ قُومُوا أَنْ صَدَّقْتُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا) [المائدة: 2]. وقال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ  
 شَنَا نُ أَنْ قُومُوا عَلَىٰ آلَاتٍ عَدَلُوا وَعَدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: 8].

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يتعامل مع المشركين واليهود والنصارى ويقر التعامل معهم عند الحاجة، وأنه دخل  
 في جوار أحدهم، واتخذ أحدهم دليلاً له في هجرته من مكة إلى المدينة، واتخذ أحدهم عيناً (جاسوساً) له، واستعار أدرع أحدهم  
 عارية مضمونة، وزارع اليهود (بعد كل غدريهم) في خيبر، وقبّل الهدية من بعض اليهود وزارهم وزاروه وأكل من طعامهم، وليس  
 الملابس من صناعة نصارى الروم ومشركي اليمن: "ومن رغب عن سنتي فليس مني"، وأحل الله في محكم كتابه الأكل من طعام أهل  
 الكتاب والزواج من نسائهم.

وفضّل الله الجميع لتدبر وحيه، والفقه في دينه، واتباع سنة نبيّه، وأعادهم من الهوى والفكر والمظنّ، وصلى الله وسلم وبارك على  
 محمد وعلى آل محمد وصحبه واتباع سنته.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن الحصين عفا الله عنه تعاوناً على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعدوان